**محاضرة: نظرية الحقول الدلالية في التراث العربي**

**تقديم:**  
كانت الدلالة تدرس لغايات دينية وفلسفية و... لذلك لم تكن علما مستقلا بذاته كباقي العلوم، كما أنها لم تأخذ مكانة ضمن العلوم بشكل بحت، وإنما بدأت تأخذ أسسها ومبادئها كعلم قائم الذات؛ إذ يعد الفرنسي ميشيل بريل أول من أطلق على هذا العلم: "السيمانتيك" وذلك من خلال مقالة له بعنوان: essai de sémantique، وبعده أصبحت الدلالة تتدارسها علوم مختلفة، ثم إنها أمست ضرورية في كل حقل من الحقول، إلى أن أصبحنا نسمع ب "الدلالة الفلسفية، البنيوية، الاجتماعية...الخ.  
فكانت نظرية الحقول الدلالية من بين الاجتهادات الدلالية، بل من بين التطورات التي لحقت بعلم الدلالة، ذلك يعزو إلى حاجة الناس الملحة لفهم دلالة العلامات الكثيرة والمعقدة، التي يتشكل منها الكون.  
إذا، تعد نظرية الحقول الدلالية من بين النظريات الدلالية الغربية الحديثة، بيد أن هذه الفكرة لا يمكن أن نعتبرها قطعية، إذ هناك آراء متعددة، تقول بوجود امتدادات للنظرية في التراث العربي، ويكمن رأيهم في أننا نجد أثارها عند العلماء العرب، بداية بالمفسرين والأصوليين وعلماء اللغة والمنطق والفلاسفة. وفي المقابل هناك آراء تقول بفكرة أساس مفادها: أنه بالرغم من أن العرب عرفوا هذه الأبحاث إلا أن تلك الدراسات لم تعرف التبويب والتنظيم في ظل العلمية التي تنشدها اللسانيات، ومرد ذلك أن ما يشغل العرب القدماء آنذاك هو فهم النص القرآني ثم استيعاب معانيه. إذن: ما مفهوم نظرية الحقول الدلالية؟ وما آثارها في الفكر العربي، والدرس اللساني المعاصر؟  
**1- مفهوم نظرية الحقول الدلالية:**  
تنطلق هذه النظرية من تصور عام، وهو أن كلمات اللغة لم تضع مبعثرة، وإنما هناك نظام متجانس تكون فيه الكلمات على شكل مجموعات، تحظى كل مجموعة بمجال مفاهيمي يسمى ب" الحقل الدلالي"، بحيث إن هذا الأخير يتأسس على جمع الكلمات التي تكون لها معاني متقاربة، ذات السمات الدلالية المشتركة، ثم جعلها تحت لفظ عام وشامل يجمعها. مثلا: ألفاظ القرابة إذ توضع تحت لفظ عام وشامل يجمعها، وهو حقل القرابة وقس على ذلك.  
إن عملية جمع الكلمات وتصنيفها ضمن حقل دلالي يستدعي خطوتين:  
1- جمع المادة اللغوية ثم تصنيفها إلى حقول دلالية.  
2- دراسة العلاقات الدلالية بين كلمات كل حقل.  
2**- نشأة نظرية الحقول الدلالية.**

**-1: في التراث العربي.**كنا قد أشرنا في ما سلف أن نظرية الحقول الدلالية تجد جذورها في التراث العربي القديم؛ بداية بالأصوليين والمفسرين واللغويين، بحيث إن العرب ألفوا المعاجم اللغوية عامة، ومعاجم المعاني على وجه الخصوص. وكانت معاجم المعاني في البداية عبارة عن رسائل صغيرة في موضوعات مختلفة، إذ كل موضوع يضم مجموعة من الألفاظ يجمعها مشترك لفظي، والموضوع بمثابة الوعاء الذي تصب في الكلمات، التي تدخل ضمن معنى واحد.  
إن الدافع الأساسي من تأليف المعاجم في تلك الفترة هو التأليف المعجمي، ومر هذا الأخير من ثلاث مراحل:  
" المرحلة الأولى: قام خلالها العلماء بجمع كلمات اللغة كيفما اتفق دون أن يتبعوا طريقة محددة...  
المرحلة الثانية: وفيها تم جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وقد وضعت في هذه المرحلة كتب يمكن تسميتها ب" كتب الموضوعات ".  
المرحلة الثالثة: إذ تعد هذه المرحلة من المراحل الأساسية في تأليف المعاجم؛ ففي هذه المرحلة ظهرت كتب المعاجم بدقة وعلمية وحسن الترتيب والتبويب، كمعجم العين للخليل الفراهيدي.  
بناء عليه، لا يمكن أن ننكر أن العرب القدامى قد فطنوا إلى تصنيف الألفاظ في حقول دلالية منذ وقت مبكر، على الرغم من أنهم لم يستعملوا المصطلح كما استعمل حديثا لدى الغربيين.  
وبهذا يصعب على الدارس أن يفصل بين المعاجم العربية ونظرية الحقول الدلالية نظرا لشدة الشبه بينهما. وفي هذا السياق يقول عمر أحمد مختار: "يلفت النظر- إلى حد كبير- الشبه الواضح بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة(في اللغة العربية) فكلاهما يقسم الأشياء إلى موضوعات وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع، وكلاهما قد سبق بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد .  
وبهذا يمكن القول بوجود شبه جلي بين معاجم المعاني ونظرية الحقول الدلالية. ما نستشف منه وجود شبه كذلك، في طريقة الاشتغال ثم في تصنيف الألفاظ، والنظر إلى علاقتها بعضها ببعض والحقل الدلالي ككل.  
فاللغويون العرب اعتنوا بجمع الألفاظ‘‘ التي تتحدد موضوعاتها في كتب مستقلة، كالخيل والإبل والطير والجراد والمطر والنخل والسلاح وخلق الإنسان والنبات والزرع والأنواء والأزمنة .  
من **أشهر المؤلفات:**أ- خلق الإنسان: للأصمعي (216ه). تناول فيه أحوال الإنسان قبل ولادته، ثم وصف جسم الإنسان كاملا، وأكثر فيه من الشعر والأخبار.  
ب- خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن الكوفي (250ه): هو كتاب شامل، تناول فيه كل عضو من أعضاء الإنسان.  
لما كان الحيوان يتسم بمنافع كثيرة في حياة العرب وصلتهم به، فألفوا مؤلفات عدة تتناول الحيوان من حيث أسماؤه وأسنانه وأوصافه وطعامه وشرابه ودواؤه...الخ.  
**ومن تلك المؤلفات:**  
أ- كتاب الإبل للأصمعي؛ إذ تناول فيه أسماء الإبل وألوانها وأمراضها .  
ب- خلق الفرس لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي(ت 332ه).  
ج- كتاب الخيل للأصمعي.  
والكتب في هذا الباب كثيرة، هذا دليل على مدى استيعاب العرب القدامى لطرق التعامل مع اللغة، من حيث تصنيفها وتبويبها... إلى جانب الاهتمام بدلالات الألفاظ ومعانيها لفهم القرآن الكريم.  
في هذا السياق تجدر الإشارة إلى‘‘ أن الدراسات اللغوية العربية الحديثة لم تعرف المصطلح إلا بعد اطلاعها على الدراسات اللغوية الغربية...على الرغم من أن الدراسات العربية قد عرفت الحقول الدلالية تطبيقا وإجراء في أكثر من مصدر وعبر قرون متعاقبة .  
**خاتمة:**  
خلاصة القول، إن نظرية الحقول الدلالية أضافت الكثير إلى مجالات معرفية، ثم أضحت وسيلة لفهم دلالات النصوص وتحليل شخصية الكاتب في مجال النقد الأدبي. كما أنها تعد الوعاء الذي ينهل منه الكاتب الألفاظ المتجانسة التي تخدم موضوعه.